

من أدب التركي

أبناء المجرم

القاضي الشاعر :

فؤاد بك خاوصي أحد رؤساء محكمة القضا والإبرام في الجمهورية
التركية الآن وهو مولود في طرابلس الشام ، رجل فذ من رجال
القانون وشاعر من أرق الشعراء عاطفة وأروعهم بياناً . ولهذا القاضي
الشاعر ديوان باللغة التركية وقفت فيه عند قسيدة مخمسة من خالده
الشعر يصف فيها تنفيذ حكم الإعدام على مجرم يترك في الحياة أرملة
وأطفالاً ، وتدرك الشاعر أحد قصائد المحكمة العسكرية التي حكمت
بإعدام المجرم في ثورة البلقان ، فاخترت لتريب هذه الأبيات
لما فيها من حكمة وعواطف ، ولعرضها مشكلة كبرى من مشاكل
العدل الإنساني تجاه سر الحياة ف . ف

وكانت من شهر ديسمبر أواخر أيامه القارصة ، وكان آخر
الليل ؛ سواد يربط على صقيع وديجور أربد ملفع بالجمود -
في كل خطوة أحوال متحجرة بالجليد وزمهرير يسفع
الوجوه فيلفحها كالسكير .

تجههم وجه السماء كجمرة تنطق ، وشرارها بقية كواكب
الليل ، حكمها الملل فاطبقت على أنوارها وتراجعت إلى الأفول
وساد الآفاق ارتعاش صامت ، ونفق اليوم مقلقاً سكوت
الظلمة العميق

أمامك ووراءك حلك الظلام ، وفوق رأسك سماء مثالة
واجمة ، فإلى أين مسيرك يا فؤاد ، مضطرباً معقود اللسان ؟ إلى
أين تتجه في آخر هذا الليل ، أيها الرجل ؟

هو قاتل أنزل القضاء عليه الحكم بالرفع إلى المشنقة ، وأمام
قصر الجند المجلل بالرهبة بين المعازل الحصينة ركزت يد الانتقام
بل يد العدل آلة الإعدام ، وهناك سينزل القصاص بمن أوردى
أحد الجنود شهيداً

هبوا من رقادكم أيها الشجعان وأسرعوا إلى المشهد ، ذلك
حكم الأمة عادلاً وهي تنتظر تنفيذه في المجرم المبين أيتها الرقة
الحديدية سارعي لإطلاق رصاصك على الجاني . ولكن لا ، إنما
رصاص بنادقك شريف يضيغ في هذا الخائن . اتركوا للحبل
فريسته ، إن للموت المعلق قلادة القنب وقساوة الجلال

أيها القضاة المقسمون بوجدانكم ! أفأأتم الحاكون بالإعدام
إجابة لاختيار مجرد فيكم ، فعلى م ارتعاشكم ، وما هذا السهم النافذ
الآن إلا سهمكم الذي شددتم له القوس وسددتم له المرمى ... ؟
لن أنسى ما حييت ما أرى

بين لجج الظلمات المطبقة على كل منظور ، كان نور مشعل
واحد تجهمت أشعته على صفحة الأوحال لتزيد في روعة المشهد ،
وكان هنالك جذعان من الأشجار مرتكران على الأرض وفوقهما
عارضة أفقية تدل منها جبل تجسم الموت فيه وارتجف الروح برجفانه
أفما تعجب لهذا الانقلاب فيك ؟ علام حزنك واضطرابك
وأنت الشاحب والقاضي ؟ لقد عدت هذا الجاني عدواً للإنسانية
ورآه وجدانك مستحقاً للإعدام ، وما يجديك انكارك الآن
شيئاً . اثبت أو تردد ، اضطرب أو تجلد ، لك ما تشاء ، فشيتك
عنت وقولك لن يسمع ، ارجع إلى الوراء وقف إلى جانب ،
اهرب وتوار عن الأنظار ، إن يد الجلال هي التي تقبض الآن
على زمام الأقدار

— ما اسمك وما اسم أهلك ؟
— فلان وأني فلان على قيد الحياة
سئل هل له أولاد ، فترجم المترجم : إن له طفلين
وشعرت إذ ذاك أن اللجة قد فترت فها تحت رجل
ارتفع الأنين من صدرى فاخنت ، وربط الروح بشهقة الألم
على أنفاسي ، واتصبت أمامي الضحية المقربة لليتم طفلين . متشحين
السواد ، وصرخ مزفوف المشنقة : عفوك أيها الإله ! وخذت أنفاسه
وغشت عيني ظلمة خفقت من ورائها الأشياء . نفذت قولي
وامتنع الاستجلاء على ، فتلاشى أمام ناظري القاتل والمقتول
واتصبت مكانهما خيال عيال باكية مصدوعة القلوب دامية الصدور
ذلك أب يبكى أرملة ويقيم يمولون تائهين بالفقر والمسكنة —
في فيافي المستقبل الأدكن . ويلاه ماجنت هذه العيال لتقتسم الجزل
مع الجاني ؟ معضلة ، من يسبر غورها ؟ ومسئلة ، من يحل عقدها ؟
لو أن هذا المشهد أحلام لبدده انفلاق الصباح وانعق القلب
من روعه وآلامه ، ولكن هي الحقيقة الهائلة ، ليها كانت طيفا
أو خيالاً ...

فؤاد خاوصي